وامريكية لتستثمر ثروات الصحراء ، ولن يقوى المغرب على مواجهة اسبانيا عسكريا لذلك فان تحركات المغرب مرتبطة بتطور اوضاعه الداخلية، وقد تبرر مطالبته بالصحراء عندما تتحقق الاهداف الداخلية ، ولن يترك كل هذا اثرا يذكر على العلاقات المغربية الاسبانية او على الوضع في المنطقة » . (النهار ٧٤/٨/٢٦) .

ولكن مم يخشى الاسبان ؟ انهم يخشون احتمالات تطور المقاومة الوطنية ضد هذا الاحتلال ومعها قد تحدث تطورات داخلية في المغرب تدفع باتجاه الصدام العسكري ، فلذلك نجد ان الاسبان يلوحون بالقوة العسكرية بعد ان اضطر المغرب الى التهديد باتخاذ موقف عسكري (ولو لفظيا) بعد ان طالبت القوى الوطنية بموقف عسكري واضح ضد اسبانيا ، فاضطرت اسبانيا الى التصرف كاية دولة استعمارية غازية فارسلت عددا من سفنها الحربية ومن بينها « الارمادا » لتقف في مواجهة السواحل المغربية ليعلن قائدها « ديورات » بعنجهية قراصنة القرون الغابرة : « ان الاسطول بمدفعيته وروحه جاهز لمواجهة كل احتمال ياتي به المستقبل » !

ولعل اسبانيا لم تقصد تهديد النظام المغربي او استفزازه بقدر ما كانت تهدف الى تخويف الجماهير العربية المغربية بما تملكه من قوة بحرية ...

لعبة الاستفتاء والاستيطان الاستعماري

عندما يتصاعد النضال ضد الوجود الاستعماري فلا بد من اللجوء الى اساليب ملتوية لمجابهة الاوضاع التي تهدد مصالحه فقد سبق ان طرح موضوع الاستفتاء في اوائل الستينات عندما ظهرت المطالبة بضم الساقية الحمراء ووادي الذهب الى المغرب . وفي عام ١٩٦٥ صدر قرار عن الجمعية العامة للامم المتحدة يطالب اسبانيا بالجلاء عن المنطقة وتقرير « مصير الشعب الصحراوي » ...

ثم صدرت قرارات اخرى ولكنها لم تجد نفعا ازاء الاحتلال والاغتصاب ، فكم من قرار اتخذته هيئة الامم المتحدة بالنسبة لفلسطين ادانت بها اسرائيل ؟!

ولما صعد النظام المغربي خطواته الاعلامية « والتهديدية » وجد انه لا مجال امامه والحالة هذه التراجع امام الاسبان وان الاحداث ستدفعه رغما عنه للصدام مع النظام الفرانكوي ... ولهذا بات يريد مخرجا له، فجاءة عندما طالب بعرض الموضوع على محكمة العدل الدولية في لاهاي الذي سارعت الى تاييده موريتانيا وادعت اسبانيا انها وافقت عليه على مضض ! ثم قررت المحكمة ارسال لجنة من الامم المتحدة لوضع الترتيبات اللازمة لهذا الاستفتاء وتشكيل لجنة مشتركة مكونة من اسبانيا ومراقب من كل من المغرب وموريتانيا ، دون ان يرد ذكر السكان او مشاركتهم ، فهذه قضية تحسمها المحافل الدولية في نظرهم !

وفي الحقيقة انه لم تكن اسبانيا لتوافق على هذا الاستفتاء وفي ظل احتلالها للمنطقة الا بعد ان اكملت مخططها في تهجير عشرات الالوف من المواطنين الى المغرب وجلب عشرات الالوف الاخرى من اسبانيا ومنحهم « الجنسية الصحراوية » هادفة بذلك الى جعل المنطقة ذات اكثرية اسبانية او موالية للاسبان مستغلة موقف القلة من رؤساء بعض القبائل ، واللعبة الاسبانية هنا شبيهة باللعبة التي حاولت ان تقوم بها في سبتة ومليلية اللتان لا يتجاوز عدد سكانهما ١٢٠ الف نسمة اغلبهم اصبحوا من الاسبان بفعل تهجير سكانهما وتوطين الاجانب فيهما ، ونفس الشيء يحصل الان في الساقية الحمراء ووادي الذهب ، فقد وصل عدد الذين هاجروا الى المغرب اكثر من خمسين الف مواطن ، كما ان اسبانيا من خلال ما تسميه « بمجلس الجماعة » وهي هيئة محلية عينها الحاكم الاسباني وتتالف من رؤساء بعض القبائل والاحزاب الموالية لاسبانيا ، اقرت اعطاء حق التجنس لاي اسباني في الصحراء ، ومغزى هذا القرار انه يمكن اعطاء الجنسية لالاف من الاسبان ينقلون بالطائرات قبل موعد الاستفتاء بقليل ليرجحوا كفة اسبانيا !

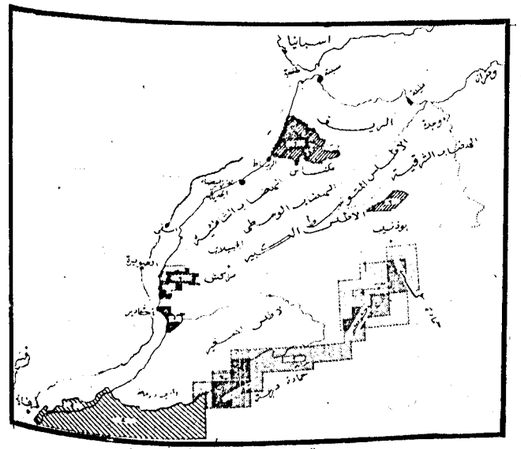

سبتة ومليلة في شمال المغرب

فالمصالح الاسبانية بدفع من المصالح الامبريالية وجدت ان ميزان القوى لم يعد يميل لصالحها في الداخل خاصة وان رياح التغيير التقدمية تهب بقوة عليها ، فالى جنب حدودها تمت الاطاحة بفاشية عريقة في البرتغال ، اذن لا بد من الاخذ بنظر الاعتبار كل هذه الامور والتطلع الى احتمالات المستقبل ، فماذا سيكون مصير « الصحراء الاسبانية » الستراتيجية والغنية فيما لو جاء حكم في اسبانيا مشابه للحكم البرتغالي الجديد الذي تخلى عن مستعمرات النظام المندثر ؟ من هنا يمكننا ان نفهم بان التوجه الاسباني نحو اجراء « الاستفتاء » الموعود لاقامة نوع من الحكومة هناك « مستقلة » (ولكنها مرتبطة باسبانيا عن طريق عملائها والمستوطنين الاسبان) ، واما ان تصبح مقاطعة اسبانية ذات حكم ذاتي تستطيع ان تنسلخ عن اسبانيا في حال حدوث ما هو مخيف فيها ! ولا شك ان الاحتمال الاول هو الارجح في ظل الظروف الحالية وموازين القوى . وفي كلا الحالتين يمكن ان يقيم الحكم الجديد في الارض المحتلة علاقات مع جيرانه . ان هذه اللعبة مفضوحة وبها ستصون اسبانيا مصالحها في الوقت الذي اوجدت فيه مخرجا لحالة التوتر المتزايدة مع المغرب واربحا مع موريتانيا في المستقبل ايضا . فهذه اللعبة شبيهة بلعبة التقسيم الدولي عام ١٩٤٨ لارض فلسطين والتي اوجدت مخرجا للانظمة العربية ، حيث تم فيها بيع قضية فلسطين في بسوق المساومات الدولية والمحلية في وقت كانت حركة التحرر الوطني العربية ضعيفة . . .

من سيفرض المعركة ؟

بعض المصادر الاجنبية والعربية قدرت عدد القوات الاسبانية المحتلة في المنطقة الان بعشرين الف رجل ينتشرون على عدد من القواعد العسكرية (عدا رجال البوليس الاسباني والقوات المحلية الخاصة من السكان العرب) ، وهذه القواعد تنتشر في ارجاء المنطقة كالتالي :

قاعدة « العيون » ، « سمارة »، « جدرية » (وهي قاعدة بحرية) ، « المحبس » ، « اكلبا » و « اوسي » (وهذه الاخيرة قاعدة جوية) ، وتتسلح اسبانيا باحدث الاسلحة الاميركية .

والمغرب بوضعه الحالي لا يستطيع مواجهة الاسبان في حرب نظامية عسكرية ما لم يعتمد نظام الحكم على دور الجماهير وتسليحها. انذاك ستتغير الكثير من موازين القوى وسيكون التحرك العربي لدعم

معركة التحرير هذه عاملا في فرض مواقف جديدة على الانظمة العربية كما تفرضه عليهم القضية الفلسطينية .

الحركة الوطنية في الساقية الحمراء ووادي الذهب

تميزت النضالات القبلية في المنطقة بالعفوية وردود الفعل على ممارسات واجراءات المستعمرين الاسبان ، ولم تتبلور على شكل حركة سياسية منظمة بسبب الوضع الاجتماعي السائد والعزلة المفروضة على المنطقة . الا انه في عام ١٩٦٨ وبعد رجوع بعض العناصر المنقفة التي درست في بعض البلدان العربية تكونت بعض الخلايا السرية وانتشرت في المنطقة واستمرت في العمل مدة ثلاث سنوات ، وسمت نفسها بحركة تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب ، وبعد مؤسس هذه الحركة المناضل محمد بصير ، واتخذت الحركة من النضال السياسي الجماهيري اسلوبا رئيسيا في المرحلة التي كانت تمر بها اوضاع المنطقة المحتلة ، وقد استطاعت استقطاب الاف من العناصر المنقفة والقبلية وابناء المنطقة المحتلة المتواجدين في الدول المجاورة . ولكن هذه الحركة الجماهيرية الصاعدة والتي حظيت بتاييد عدد من شيوخ القبائل تعرضت الى نكسة ماحقة في ١٧ حزيران من عام ١٩٧٠ حينما هاجمت السلطات الاسبانية الجماهير التي خرجت لتتظاهر ضد البعثة الاسبانية التي كانت تريد اتخاذ الخطوات التشريعية الكفيلة بالحاق المنطقة باسبانيا من كافة الوجوه ! وكان من نتائج هذه الحملة سقوط اربعين شهيدا واعتقال المئات من المواطنين وبالتالي ضرب قيادتها الوطنية واعتقال محمد بصير (دون ان يعرف عنه شيء حتى الان) ، ويروي الناجون من عناصر حركة التحرير هذه ، ان رؤساء العشائر الذين اشترتهم اسبانيا ساهموا في ضرب الحركة حيث وقعوا على وثائق ضد قبائلهم نفسها !

وهكذا تعلمت اسبانيا هذا الدرس وادركت الخلل الموجود في جهازها السياسي فقامت بانشاء مجلس لشيوخ العشائر كما انشات عددا من الاحزاب منها الحزب الثوري الصحراوي والحزب الشعبي حيث يدير هذه الاحزاب المستوطنون الاسبان وباشراف الحاكم العسكري !

ولادة الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب

كان رد الفعل عنيفا على مجزرة ١٧ حزيران وعلى تواطؤ اولئك الشيوخ وبعد معاناة ثلاث سنوات لهذه المجزرة ، تحرك الشباب العربي في المنطقة واخذوا ينشرون الافكار الجديدة داعين القبائل الى عدم التعاون مع الاسبان والى محاربة الفقر والمرض والتشرد والجهل ، وتجمعت هذه العناصر الشابة المثقفة التي افرزتها الحركة الوطنية سابقا واخذت تراجع السياسة السابقة ومرحلتها ، فاعلنت عن ولادة الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب في ١٠ ايار (مايس) عام ١٩٧٣ واعلنت الجبهة تبنيها للكفاح المسلح لطرد الغاصبين الاسبان ، وفي ٢٠ ايار قامت باولى عملياتها المسلحة في منطقة « الحنفة » واستولت على سلاح الاسبان ، وهكذا كانت ولادة الجبهة وانطلاقتها الكفاحية بداية مرحلة جديدة من النضال الوطني ، كما ان تبني الجبهة لشعار الكفاح المسلح وتطبيقه جعلها تاخذ زمام المبادرة في طرح موضوع تحرير المنطقة بقوة السلاح وتحرج موقف الدول المجاورة التي « تطالب » بالمنطقة وتحرص على عروبتها !. وهذا ما دعى النظام المغربي الى اعادة احياء منظمة الرجال الزرق التي قام بتاسيسها الجلاد اوفقير والذي اعدمه الملك الحسن فيما بعد عام ١٩٧٢ وبعدها اعلن في المغرب عن تشكيل منظمة جديدة باسم منظمة تحرير الصحراء من عناصر ساهمت سابقا في معارك التحرير ضد الاسبان والفرنسيين ، كما وسارعت موريتانيا هي الاخرى الى انشاء ما يسمى بالجبهة الشعبية العسكرية في الساقية الحمراء !

كان رد الفعل الاسباني على عمليات الجبهة الشعبية عنيفا جدا اذ استخدم ولاول مرة منذ سنوات طيرانه الحربي في قصف المناطق التي يعتقد بتواجد الثوار فيها ، وقام بشن حملة سياسية ضد الجبهة مدعيا بان هذه الحرب لن تجلب سوى الدمار على القبائل نفسها ... وان المشاكل التي يواجهها السكان يجب ان تحل سياسيا وبواسطة الاحزاب العلنية القائمة !

اما الجبهة الشعبية التي عقدت مؤتمرها الثاني بتاريخ ٧٤/٨/٢٥ وفيه حددت برنامجها السياسي والذي كان باختصار برنامج اية حركة وطنية تحررية تتطور من خلال مجرى الكفاح فقد اعلنت انها تعتمد في كفاحها المسلح هذا على الجماهير العربية في المنطقة المحتلة اولا ، كما وأعلنت انها تريد استقلال المنطقة ، مبررة هذا الموقف بانها ترفض اية وحدة في ظل نظام رجعي عربي ، ومن هنا جاء موقفها تجاه مسالة الاستفتاء حيث صاغت الشروط التي على اساسها فقط تقبل به وهي :

١ ـ ليس هناك غير طرفين معنيين باستقلال المنطقة ، شعبها العربي من جهة والاستعمار الاسباني من جهة اخرى .

٢ ـ سحب القوات الاسبانية بكل اشكالها واستبدالها بالقوى الوطنية وقوى الجبهة .

٣ ـ انسحاب الادارة الاسبانية واستبدالها بادارة وطنية .

٤ ـ يجري الاستفتاء مباشرة باشراف الامم المتحدة وجامعة الدول العربية وتقدر نتائجه .

وفي الحقيقة طرحت الجبهة موضوع دخول جامعة الدول العربية كطرف عربي موحد في موضوع الاستفتاء وهذا ما لا ترضاه اسبانيا اطلاقا !

الموقف السياسي وشعار المرحلة

ان قضية « الصحراء المحتلة » المسماة مرة اسبانية او مغربية او موريتانية ، ليست قضية ارض متنازع عليها فقط وانما تشكل قضية سياسية ذات طبيعة دولية تتعلق بمشكلة ارتباط المستعمرات الاسبانية في المغرب بالوجود العسكري الامبريالي في المحيط الاطلسي والبحر المتوسط وجبل طارق، هذا اضافة الى ثرواتها التي تجعل لعاب الاحتكارات العالمية يسيل لها !

فهذه القضية تطرح على المواطن العربي وبالذات مواطنا في مغربنا العربي تساؤلات عدة ...

هل تنضم الساقية الحمراء ووادي الذهب للمغرب ام لموريتانيا او تستقل على الرغم من ان سكانها لا يتجاوزون الربع مليون نسمة ضمن مساحة شاسعة وهل ممكن وفي الحالة الاخيرة قيام دولة في هذه المنطقة دون ان تكون مرتبطة موضوعيا وامنيا ببلد من البلدان المجاورة (في الارض المحتلة والمغرب وموريتانيا) ان تدفع باتجاه بلورة كفاح مشترك من اجل التحرير وفضح بل واسقاط اي نظام يساوم على هذا الموضوع ؟

وخلاصة الامر ، انه ما دام هناك نضال مسلح في الساقية الحمراء ووادي الذهب ، وما دام هناك وجود اجنبي مدعوم امبرياليا ، اذن يجب دعم اي توجه لمحاربته ، واعطاء الجماهير حريتها بل وتسليحها لتقرر مصيرها بيديها ما دامت هذه الجماهير تشعر بانتمائها لهذا الوطن الكبير وليس لهذه الحكومة او تلك ، وهذا لن يتم بالطبع الا بمشاركة جماهير الدول المجاورة في قضية هذا النضال التحرري لانها في واقع الامر قضيتها ايضا ، ومن خلال كل ذلك يمكن ان تتجسد الوحدة الحقيقية ... اذن فالشعار التحرري الذي يمكن ان ترفعه حركة التحرر العربية الان هو : النضال لاسترجاع كل قطعة ارض عربية سليبة او محتلة من المحيط الى الخليج !